الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشؤون الحوزات العلمية

- السنة الثانية
- الـ ٨٨
- الإثنين
- ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٥ هـ.ق
- ١٨ نوفمبر ٢٠٢٤ م
- ٤ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

مناقب الزهراء عليها السلام وتنكّر الاتجاه الأموي
فوزي آل سيف
٤

أوضح آية الله العظمى جوادي آملي: ضرورة إحياء دروس تفسير القرآن والعلوم العقلية في الحوزات
١

عَنْ سَيِّدَةِ اَلنِّسَاءِ عليها السلام قَالَتْ:

«مَنْ أَصْعَدَ إِلَى اَللَّهِ خَالِصَ عِبَادَتِهِ أَهْبَطَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ أَفْضَلَ مَصْلَحَتِهِ.»

بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٢٤٩

كلمة رئيس التحرير

مهما اشتدت الخطوب!

يهْتز القلب خشوعا، وترْتعد الأفئدة حزنا، حين نستذكر تلك الأيام الحالكة التي شهدتْ رحيل سيّدة نساء العالمين. فاطمة الزهراء عليها السلام، بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله، وريحانة قلبه، ونور عينيه، غادرتْ دنيانا تاركة خلفها أمّة تئنّ من وقْع المصاب. خمسة وسبعون يوما مضتْ كالجمر على قلب الوصي، يقاسي فيها مرارة الفراق وعظيم الفاجعة. كل يوم منها كان كألف عام، وكل ليلة كانت كدهر من الظّلام. لكن أمير المؤمنين، ذلك الطّود الشامخ، لم تزعزعه الرياح، ولم تهزه العواصف، وقف يودع محبوبته بقلب ينزف ألما، وعين لا تجف دمعا. وقف عليّ مستودعا ودائع النبوّة إلى بارئها، محتسبا عند الله صبره وبلواه. فما أعظم المصاب حين يفجع المرء بفقْد من كانت نور حياته وبهجة أيّامه. في محراب العبادة، حيث كانت تقف كشمعة تضيء ظلام الليل بمناجاتها، وتسجد سجود الخاشعين، بقيتْ آثار عبادتها شاهدة على سموّ روحها وعظم مقامها. وفي أرجاء البيت، حيث كانت تعمل بيديها الشريفتين، ظلّتْ ذكراها عبقة تفوح بأريج الطهر والعفاف. لقد علّمتْنا السيدة الزهراء دروسا في الصبر والثبات على الحقّ. فمن مشكاة حياتها نستلهم العبر في الصمود أمام المحن، والثبات على المبادئ مهما اشتدت الخطوب. إن المؤمن الصادق لا تزعزعه العواصف، ولا تثنيه الشدائد عن طريق الحقّ. فلْنجعلْ من سيرة البتول الطاهرة نبراساً يضيء دربنا، ومن صبرها زاداً يقوّي عزائمنا. وإذ نستذكر هذه الأيام الحزينة، فإنّنا نستحضر عظم المسؤولية في الحفاظ على تراثها ونهجها. فكل دمعة تنهمر على مصابها إنّما هي شاهد على حبها، وكل نفس يصعد متألماً لفقدها إنّما هو دليل ولاء وانتماء. نسأل الله أن يحشرنا في زمرتها، وأن يجعلنا ممن يسير على نهجها، ويقتفي أثرها في طاعة الله وخدمة دينه.

■ أوضح آية الله العظمى جوادي آملي: ضرورة إحياء دروس تفسير القرآن والعلوم العقلية في الحوزات

يجب على الحوزات العلمية أن تتعامل بقوة وحيوية مع المسائل الدينية والأحكام الشرعية، لأن الفقه الإسلامي له أبعاد واسعة للدراسة. ينبغي على الحوزات العلمية أن توضح الأحكام الدينية بالاستدلال والمنطق وأن تقدم إجابات على الأسئلة الاجتماعية والدينية. وبحسب ما أفادت به وكالة الحوزة، التقى مجموعة من أساتذة الحوزة العلمية في قم مع آية الله جوادي آملي في بيته، وتحدثوا معه.
في هذا اللقاء، استعرضوا تاريخ الحوزة العلمية وتناولوا التحديات والإنجازات التي حققتها، وأكدوا أن حوزة قم العلمية، رغم الضغوط والقيود في فترة رضا خان، استطاعت الحفاظ على طاقتها العلمية والروحية وتوسيعها. وأشار آية الله جوادي آملي إلى الفترة الصعبة والقيود التي عانى منها العلماء، وأوضح أنه في البداية كانت الحوزة تركز فقط على الفقه والأصول، بينما كانت العلوم العقلية والكلام لا تحظى بمكانة كبيرة. ومع ذلك، كانت جهود علماء كبار مثل آية الله البروجردي وعلامة الطباطبائي لها دور أساسي في توسيع العلوم الدينية وإحياء الفلسفة الإسلامية في الحوزة.
وشدد على أهمية العلوم العقلية ودور العلامة الطباطبائي في إحداث تحول في الحوزة، قائلاً: إن العلامة الطباطبائي قال: "عندما جئت إلى الحوزة، أدركت أن التركيز هنا فقط على الفقه والأصول، وأن هناك فراغاً في مجال العلوم العقلية والقرآن؛ لذا بدأت بتدريس الفلسفة والتفسير."
كما أشار إلى دور شخصيات أخرى مثل الشهيد مطهري في نشر العلوم العقلية، مضيفاً أن حوزة قم استطاعت أن تتحول مع مرور الزمن إلى مركز علمي وفكري دولي. مركز يتم فيه تدريس كل من العلوم العقلية وتفسير القرآن ونهج البلاغة بجانب الفقه والأصول. وأكد آية الله جوادي آملي على ضرورة أن تتعامل الحوزات بقوة وحيوية مع المسائل الدينية والأحكام الشرعية، لأن الفقه الإسلامي له أبعاد واسعة للدراسة. ينبغي على الحوزات العلمية توضيح الأحكام الدينية بالاستدلال والمنطق وتقديم إجابات على الأسئلة الاجتماعية والدينية. وفي نهاية حديثه، أشار إلى الواجبات الثلاثة للحوزات العلمية، مبيناً أن القرآن الكريم أشار إلى ثلاث واجبات تتمثل في الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن. حيث يقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.
هذه الواجبات، التي تشمل الإرشاد، والتوجيه الأخلاقي، وتبيين الحكمة الإلهية، يجب أن تُوزع بين الأساتذة. لذلك، ينبغي على الحوزات العلمية أن تشمل دراسة الفقه والحقوق بجانب الجدال بالتي هي أحسن، ويجب على كل أستاذ في الحوزة تقديم درس قرآني بجانب درسه في الفقه والأصول.

■ آيت الله العظمى مكارم شيرازى في رسالة بمناسبة إحياء يوم الكتاب والقراءة أكد على ضرورة اهتمام المسؤولين الجاد بتوسيع ثقافة القراءة.

ضرورة اهتمام المسؤولين بتوسيع ثقافة القراءة

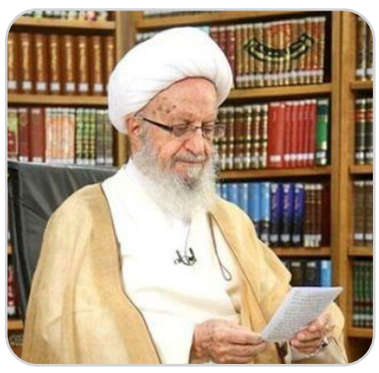

وفقًا لتقرير العلاقات العامة لجمعية مدرسي حوزة قم العلمية، نقلًا عن الموقع الإعلامي لمكتب آية الله العظمى مكارم الشيرازى، فإن رسالة آية الله العظمى مكارم الشيرازى بمناسبة إحياء يوم الكتاب والقراءة هي كما يلي:قال الإمام الصادق عليه السلام: «احفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها.»(الكافي، الجزء ١، الصفحة ٥٢)
يجدر بي في البداية أن أشكر جميع المنظمين والمشاركين في هذه الفعالية القيمة التي أقيمت تكريمًا للكتاب والقراءة، وآمل أن تكون هذه الجلسة وما شابهها خطوة فعالة في تعزيز ثقافة القراءة. حب الكتاب والقراءة هو شعور مألوف وجميل في نفوس أهل العلم والمعرفة. جميعنا لدينا تجربة حلوة في التواجد مع الكتاب، كما أننا نشعر بالحزن والمرارة عند حرماننا منه. أتذكر جيدًا كم كان صعبًا ومؤلمًا أن يبتعد أهل العلم عن الكتاب أثناء فترة السجن في عصر الشاه، وكم تغيرت الأجواء عندما وافقوا على منح كل شخص كتابًا واحدًا. الكتاب هو الأداة الأهم لتبادل المعلومات ونقل الأفكار من داخل ضمير المفكر، وهو نتاج سنوات من الجهود والأبحاث العلمية أو فكرة جديدة في أشكال متنوعة. الله تعالى عندما رأى مخلوقه مستحقًا، أرسل له كتابًا سماويًا وضع فيه طريق نجاة البشرية ورسالته. الآن، على الرغم من مرور الزمن والتغيرات الكبيرة في نمط الحياة ودخول التكنولوجيا في مجالات مختلفة من حياة البشر، إلا أن الكتاب لم يفقد مكانته الرفيعة. ولكن للأسف، فقدت ثقافة التفكير والتفكر مكانتها في المجتمع، وبدلاً منا يفكر الإعلام وأصحاب السلطة ويقررون، مما أدى إلى استغلال وعبودية الجماهير. لذلك، فإن الطريق الصحيح لمواجهته هو تعزيز لقراءة وزيادة الوعي بين الناس. لذا، من الضروري أن يولي المسؤولون المحترمون اهتمامًا جادًا بتوسيع ثقافة القراءة وتيسير وتوفير مستلزماتها مثل تعزيز المكتبات، ومراقبة أسعار الكتب، ودعم الناشرين وقراء الكتب. استخدام الكتاب في كل فرصة وظرف، وتعليم الأطفال والمراهقين حب الكتاب وتعزيز القراءة بينهم، هو أهم واجب على الأسر، خاصة في الظروف ونمط الحياة الحالي الذي أوجد منافسين جادين للكتاب وأدى إلى تهميشه. تحقيق هذا الأمر يعتمد على التعليم ومساعدة الأسر، وهذه مهمة الجهات المعنية. أطلب من الله تعالى التوفيق المتزايد لجميع العاملين في الثقافة والفكر وخدام الكتاب والقراءة، وآمل أن تسهم الجهود المبذولة في تعزيز ثقافة القراءة في تعريف الناس، وخاصة الشباب، بالعلم والمعارف الدينية، وأشكر مجددًا جميع المسؤولين والعاملين والمشاركين المحترمين في هذه الفعالية.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
قم ـ ناصر مكارم الشيرازي
١١ جمادي الأولى ١٤٤٦

■ آية الله قاسم: قائدنا العظيم الشهيد السيد حسن نصرالله أعطى حياته للإسلام ناصر الضعيف وحارب القوي كلُّ ذلك على خطّ الإسلام ومن أجله وفي إطار رضاه

اللؤلؤة- قال القيادة الديني العليا في البحرين سماحة آية الله عيسى قاسم إن قائدنا العظيم، الشهيد السعيد، السيد حسن نصر الله لازم الإسلام في أبعاد حياته طوال حياته التكليفية، وأعطى حياته للإسلام، وعادي القريب، وصادق الغريب، وناصر الضعيف، وحارب القوي، كلُّ ذلك على خطّ الإسلام ومن أجل الإسلام وفي إطار رضى الإسلام. وأكد في كلمة لسماحته في مؤتمر «مدرسة نصرالله» أن سماحة السيد الشهيد حرِص كلّ الحرص أن تمتلئ كلّ مواقع الحياة الاجتماعية في لبنان وغير لبنان بالعقول الواعية، والنفوس المحكومة للعقيدة، والأيدي النظيفة، والذمم الأمينة، والأنظار الحكيمة، ومن يقدّم مصلحة دينه على دنياه، ومصلحة مجتمعه وأمّته على جشع النفس والطمع في الدنيا ورغائب النفس ورغائب الأهل ورغائب كلّ الآخرين. واعتبر أن الاحتفالات والاحتفاءات والتكريم الجادّ لسماحة السيد الشهيد السعيد السيد نصر الله «أعلى الله مقامه»، إنما هو لنتعلّم وتتعلّم الأمة كلّ الأمة بأن تعمل بجدّ واجتهاد على تخريج قياداتٍ على هذا الخط، من هذا النوع، من هذا المستوى، وكلّ مستوى كبيرٍ عظيمٍ متنامٍ، قيادات تستجمع كلّ ما أمكن من صفات المعصومين عليهم السلام. وأضاف «نفعل ذلك، نحتفي، ونُكرِّم، ونذوب حبّاً، ونوالي هذه القيادات، لنقول للأمة أنّ عليها أن لا توالي قيادة تسلك غير هذا الخط، وتعيش الولاء لغير الله عزَّ وجلّ، أن لا نوالي أيّ قيادة تنسى ولاءها الأوّل العظيم الأساسي وهو الولاء لله، ولكلّ عبدٍ كان أقرب لله، أنفع للخلق، أقدر على حمل الأمانة -أمانة القيادة الإسلامية-، وأداء وظائفها». ولفت سماحته إلى أن الشهيد السعيد لم يتخذ موقعه القيادي الكبير، وثقة الناس فيه معبراً للجمع لدنياه ودنيا ذويه، ومركباً لمصالحه الدنيوية ومصالح أهله والمقرّبين، كان قادراً على جمع دنيا عريضة، وميراثٍ كبيرٍ يبقى من بعده لأكثر من جيل، يتغذون عليه ويتصرّفون فيه ببذخ، إلا أنّه لم يفعل، لم يوظّف شيئاً من إمكاناته لدنياه ولا دنيا غيره من غير المستحقين، وإنما كانت كلّ جهوده تنطلق أولاً لرضا الله، وكلّ امتناعاته تبدئ أولاً من مراعاة غضب الله عزَّ وجلّ، وما يندفع إليه من حركةٍ صعبة مبدأها هو نظره لتعظيم الله، ومنطلقه الأول هو طاعة المولى الحقّ، وطاعة المولى الحقّ عنده أولاً وأخيرا. وأشار آية الله قاسم إلى أن بطلنا العظيم الصلب جُرِّب، وجُرِّب إيمانه وأمانته، وصبره وشجاعته، وثباته واستقامته وقناعته في الشدّة والرخاء، في التعامل مع الصديق والعدوّ، مع القريب والبعيد، وفي مختلف الظروف، فما وجده الناس إلاّ الرجل الصالح والشجاع المقدام، والقيادة المؤمنة الحكيمة، والمُخطِّط البارع، والمقارع العنيد للطغاة المفسدين. وقال إن سيدنا الكريم لم يكن يستمدّ عزمه، شجاعته، إقدامه، ثقته بالنصر، من الأتباع، إنما كان استمداده لكلّ ذلك من صلته بالله، ثقته بالله، إيمانه العميق، انشداده الكبير لله تعالى.

الأخبار الدولية

■ رابطة علماء اليمن تدين بشدة استهزاء النظام السعودي بالكعبة المشرّفة تحت مسمى الترفيه

أدانت رابطة علماء اليمن بشدة ما أقدم عليه النظام السعودي تحت مسمى الترفيه بالاستهزاء بقبلة المسلمين التي يدّعي الوصاية عليها، ويسمون أنفسهم خَدَمة للحرمين الشريفين، وذلك من خلال تمثيل الكعبة والراقصات يرقصن حولها في مسرح ضمن فعاليات ما يُسمى بهيئة الترفيه.

أبنا

■ ندوة فكرية بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد السيد حسن نصر الله في النجف

عُقدت ندوة فكرية بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد السيد حسن نصر الله في مركز الإمام الصادقؑ للدراسات والبحوث في النجف الأشرف، بحضور حجة الاسلام والمسلمين الشيخ حسين الخشن. وتناول الشيخ الخشن في محاضرته استحقاقات المرحلة الراهنة وتحدياتها الكبيرة، مسلطاً الضوء على شخصية السيد الشهيد، وجهاده وتضحياته في سبيل الإسلام والدفاع عن المظلومين، ودعمه لقضية المسلمين الأولى، قضية فلسطين. وأكد أن مواقفه كانت أخلاقية وإنسانية، مستمدة من روح القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي الأصيل.

وكالة أنباء الحوزة

■ وزير الدفاع الايراني يلتقي رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السورية في دمشق

وفقا لوكالة مهر للأنباء، إنه التقى "العميد عزيز نصير زاده" وزير الدفاع الإيراني صباح اليوم مع "الفريق عبد الكريم محمود إبراهيم"، رئيس الأركان العامة للجيش والقوات المسلحة السورية في دمشق. والجدير ذكره أنه التقى وزير الدفاع الإيراني أيضا صباح اليوم مع نظيره السوري في دمشق. ووصل وزير الدفاع الإيراني إلى دمشق أمس بدعوة من وزير الدفاع السوري. وسيتم خلال الزيارة بحث تعزيز وتوطيد العلاقات الدفاعية الثنائية، والتأكيد على الدور المركزي لدول المنطقة في توفير الأمن، وضرورة سحب القوات الأجنبية، ومواصلة التعاون الثنائي لمواجهة مختلف أشكال الإرهاب، فضلا عن دراسة التطورات في المنطقة وجبهة المقاومة.

مهر

■ إيران تنفي لقاء بين سفيرها وإيلون ماسك

نفى المتحدث باسم وزارة الخارجية إسماعيل بقائي مزاعم بشأن لقاء بين سفير إيران في الأمم المتحدة أمير سعيد إيرواني وإيلون ماسك وزير كفاءة الحكومة في ولاية دونالد ترامب الثانية. ورفض بقائي بشكل حاسم عقد مثل هذا اللقاء وأعرب عن إستغرابه إزاء ما قامت به وسائل الإعلام الأمريكية من إثارة الأجواء على نطاق واسع في هذا الشأن.

وفي وقت سابق، رفضت ممثلية إيران لدى الأمم المتحدة التعليق على المزاعم بشأن عقد اللقاء بين ممثل إيران والملياردير الأمريكي إيلون ماسك من أجل خفض التوتر بين طهران وواشنطن.

وزعمت صحيفة نيويورك تايمز الخميس الماضي أن إيلون ماسك و هو المستشار المقرب من للرئيس الأمريكي المنتخب دونالد ترامب، التقى سفير إيران لدى الأمم المتحدة في نيويورك أمير سعيد إيرواني يوم الإثنين الماضي.

إيسنا

■ العتبة العباسية تشارك في مؤتمر الاتحاد العربي للمعلومات بسلطنة عمان

شارك قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، بورقة بحثية حملت عنوان "دور مركز الفهرسة ونظم المعلومات في أرشفة الثقافة والتراث الرقمي: البوابة العراقية للمعرفة أنموذجًا" في مؤتمر الاتحاد العربي للمعلومات والمكتبات بنسخته الخامسة والثلاثين في سلطنة عمان. وأُقيم المؤتمر تحت عنوان "المكتبات ومؤسسات الأرشيف العربية ودورها في تعزيز الهوية والمواطنة الرقمية".

وقال مدير مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع للقسم، السيد حسنين الموسوي، إنّ "هذه المشاركة تندرج ضمن سلسلة المشاركات الخارجية للمركز، إذ شهدت هذه النسخة ٥٤ ورقة علمية، وحلقة عمل، وجلسات حوارية تركز على دور المكتبات في تعزيز الهوية الوطنية ومواجهة التحديات في المكتبات، وبناء بيئة رقمية تسهم في تعزيز المواطنة".

شفقنا

مقالة / الجزء الثاني والأخير

السِّياق ودورُه في تفسير القرآن

الشيخ عبدالرؤوف حسن الربيع

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

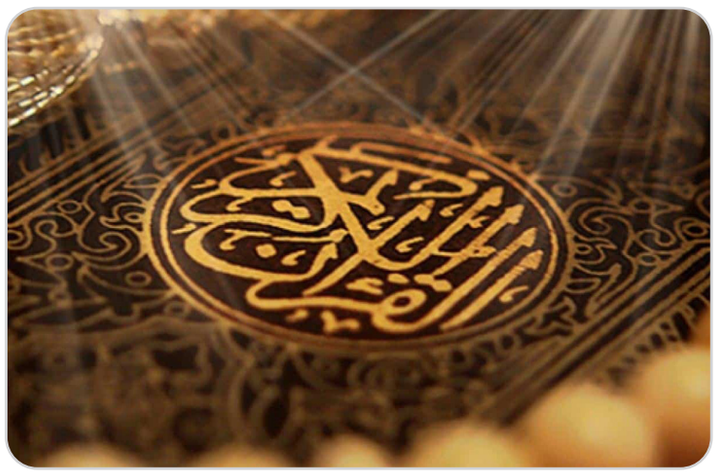

■ المسألة الثانية: السياق قاعدة من قواعد التفسير

من شأن القاعدة أن تكون مطّردة وقابلة للانطباق على مواردها من دون اختصاصها بموردٍ دون آخر وإلا اختصت به لا غير، ولو رجعنا إلى السياق لوجدنا له الصلاحيّة الشاملة للانطباق على سائر الآيات الشريفة بدون استثناء، وحينئذٍ يحقّ لنا أن نعدّه من القواعد التفسيريّة التي تستعمل وتوظّف في تفسير كلّ القرآن بدون اعتراض.

■ المسألة الثالثة: أنواع السياق القرآني

توجد أربعة أنواع للسياق القرآني:

الأوّل: السياق بين كلمات وألفاظ القرآن الكريم

وهو تفسير المقطع المراد من القرآن الكريم بلحاظ سياق الألفاظ أو القرائن المحيطة به ولو كانت في نفس الآية الكريمة، وهو شائعٌ كثيراً وتزخر به تفاسير الأعلام.

الثاني: السياق بين الآيات بعضها ببعض

وهو تفسير آية معيّنة نتيجة ملاحظة ما يسبقها أو يلحقها أو ما يتناسب معها من الآيات ولو كانت في موضعٍ آخر، فيلحظ الجميع بمنظار وسياق واحد، وهذا النوع ذائع ومنتشر أيضاً، ويمكن أن يكون منه ما لو تمّ اكتشاف سياق سورة بأكملها كمحور عام فينظر إلى جميع آياتها من خلال هذا المحور.

الثالث: السياق بين سورةٍ وأخرى

وهو تفسير سورة من السور بملاحظة بعض الجوانب والسياقات المشتركة بينها وبين بعض السور الأخرى، كما لو انطبعت السور المكيّة بخصائص مشتركة -مثلاً- لا تتوفّر عليها السور المدنيّة فيكون تفسيرها مطعّماً ومشرّباً بلون هذه الخصائص وتلحظ بعين الاعتبار.

أو تلحظ العلاقات والمناسبات بين السور بحسب ترتيبها في المصحف الشريف، إذ قيل: إنّ بينها تمام التلاؤم والانسجام وإنّ هناك ارتباطاً بين خاتمة كلّ سورة وبين افتتاح السورة التي تليها أو توافق بين مضمون السابقة وبين اللاحقة في تتميم الأغراض القرآنية.

نعم هذا يتم على القول بتوقيفيّة ترتيب السور من قبل الله تعالى، أمّا على القول بعدم ذلك وأنّ الترتيب الموجود حصل بعد رحيل الرسول الأعظم| باجتهادٍ من البعض فلا محصّل للتعويل عليه، نعم هناك من ذهب إلى إمكان ملاحظة سياق ترتيب السور إذا ثبت بالدليل ترتّب واحدة على أخرى بحسب النزول لا بما هو مثبت في المصحف المتداول من ترتيب.

الرابع: سياق القرآن بأكمله

وهو تفسير جميع الآيات والسور ضمن سياق الهدف العام الذي نزل القرآن من أجله وهو الهداية، فحتى الآيات العلميّة التي تتحدّث عن بعض أسرار الكون والسماء والأرض وغير ذلك لا تخرج عن إطار التربية والهداية وبناء الذات الصالحة والنّفس الكاملة، وهذا السياق مهم للمفسّر كثيراً حتى يحافظ على الصورة الإجمالية للقرآن ورسالته ومراميه.

■ المسألة الرابعة: شروط التمسّك بالسياق في التفسير

لا ريب في أنّ هناك ضوابطَ وشروطَ عامّة تقنّن وتنظّم الاستفادة من السياق بشكل صحيح، ويكون في مراعاتها اجتناب الوقوع في الشبهات والانحرافات، لوضوح أنّ أيّ زللٍ وخروج عن معاني القرآن وتعاليمه القويمة يعني الابتعاد عن الدين وأحكامه وأصوله، ومن أبرز هذه الشروط:

١- العلم أو الاطمئنان بوجود القرينة ووحدة سياق الكلام، فمع احتمال التعدُّد لا يتسنّى لنا التمسّك بالسياق.

٢- الموضوعيّة والنَصَف في التعامل مع سياق النصوص، فلا نقبله في مورد ونغض الطرف عنه في آخر.

٣- ألا نحمّل السياق خلفيّاتنا السابقة ونلزمه بها، بل المطلوب منّا أن نلتزم بمؤدّاه وإنْ كان على خلاف ما نهوى ونميل، فهو الحجّة علينا وليس العكس، كما يجب ألا نحمّله فوق ما يحتمل أو نستنقص من دلالته شيئاً.

٤- أنْ نتّبع في فهمه الطريقة العرفيّة العامة في المحاورة، ونتجنّب الذوق الشخصي الشاذ والتبرّعي الذي لا ينهض عليه شاهدٌ أو دليل.

٥- وأخيراً لا بدَّ لمن يستعمل السياق من أنْ يكون مؤهّلاً وصاحب صنعة وخبرة في هذا الفن، وإلا فالمدّعون والمتطفّلون كُثُر، كلّ ذلك مع الاستضاءة بمعادن الحكمة وأوعية العلم -ممّن نهلوا من معين القرآن وارتشفوا زلاله وكانوا ترجمانه بحق- محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

■ المسألة الخامسة: نموذج تطبيقي للقاعدة

استكمالاً للعرض المتقدِّم وتتميماً للفائدة نورد أحد النماذج التطبيقية للقاعدة لنرى كيفَ يتأثَّر التفسيرُ بها سلباً أو إيجاباً -على أنَّ كتب التفاسير القديمة والحديثة تزخر بالأمثلة الكثيرة المتنوّعة التي يستفاد فيها من السياق:

في قوله تعالى شأنه: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...} ذكر الزمخشري أنَّ هناك من فسَّر العباد في قوله تعالى {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} بالمعصومين خاصّة ولم يرد مطلق العباد وذلك لأنَّه أراد عباده الذين عناهم في قوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}.

ولكن لو رجعنا إلى مطلع الآية {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ} فهي خطاب عام شامل لكلّ المكلّفين، وكذلك الحال في قوله: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} فإذا بنينا على تفسير العباد بفئة المعصومين فقط فسيكون مجموع معنى الآية: إن تكفروا جميعاً فالله سبحانه لا يحتاج إلى إيمانكم ولكن لا يرضى أن يكون عباده المعصومين فقط كفاراً وأمّا لو شكرتم النّعمة جميعكم فهو سبحانه يرضه لكم، أي توسَّط خطاب إلى الخواص وسط خطابين إلى عامة العباد.

ويرد عليه: إنَّ هذا خلاف السياق العام للآية الكريمة ويترتّب عليه تالٍ فاسد، وهو أنَّ الله سبحانه يرضى الكفر لمن كفر من الناس ولم يشكر النّعمة، وذلك باعتبار أنَّ عدم رضاه بالكفر اختصَّ بالمعصومين فقط، وأمَّا غيرهم من سائر الناس فلا، وهو معنىً لا يستقيم وفيه ركّة وضعف.

والأوفق لوحدة السياق أن يكون الخطاب في المقاطع الثلاثة لعامة العباد ويكون معنى الآية الشريفة: أيّها الناس إن كفرتم بنعمة الله تعالى فهو لا يحتاج إلى إيمان أحدٍ منكم لحكم غناه وكونه واجباً للوجود لا يفتقر إلى شيء، ولكن لكونكم عباده فلا يقبل أن تكونوا كفاراً ويود أنْ تصبحوا جميعاً من الشاكرين، أمّا لو شكرتم النعمة فهو يرضى عملكم ويباركه.

وهذا التفسير والمضمون في غاية القوّة والانسجام ولا يلزم منه توالي فاسدة، والبركة في انتخابه ترجع إلى ملاحظة السياق والنظر إلى مجموع الآية كحلقة واحدة منتظمة.

■ الخاتمة

بحث السياق شيِّق ومفيد ويستحقُّ منّا زيادة التعمُّق والتبصُّر في مطالبه، وقد اقتنصنا منه العديد من الثمرات والنتائج، من أبرزها:

أ- دور السياق دائماً هو توجيه الكلام الوجهة الصحيحة التي يرومها المتكلّم.

ب- السياق لا يتعارض مع الظهور إطلاقاً؛ لأنَّ أصل الظهور لا ينعقد إلا بعد ملاحظة السياق.

ج- وجود الخصوصيَّة للقرآن الكريم -من حيث كونه كلاماً معصوماً ومعجزاً- يجعل عمليَّة التعامل مع سياقه في غاية الدقَّة والخطورة.

د- أكثر أنواع السياق ذيوعاً وانتشاراً هو سياق الكلمات مع بعضها البعض في الآية الواحدة، وسياق الارتباط بين الآيات.

هـ- عدم مراعاة شروط التمسُّك بالسياق له عواقب وخيمة، وغالباً ما تقود إلى فهمٍ خاطئٍ ومشوَّه للدين وابتعاد عن أصوله وأحكامه.

و- استعمال السياق في التفسير يفتقر إلى خبرة وتأهيل خاص، ويحتاج إلى استضاءات مستمرَّة بروايات أهل العصمة والطهارةi طول الطريق.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

انتهت

المصدر: رسالة القلم، العدد ٥٤

إخلاص العلّامة الطباطبائيّ ؒ

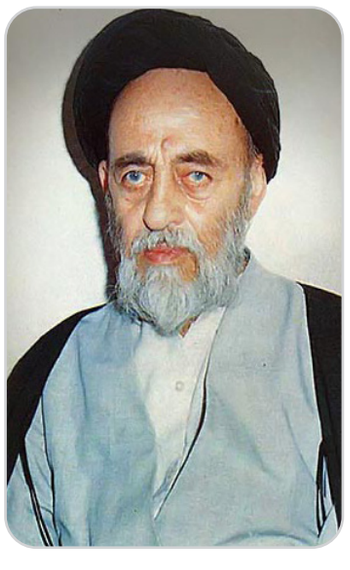

إحدى خصوصيّات الأستاذ العلّامة الطباطبائيّ ؒ إخلاصه الكامل والتامّ، وشهرة مؤلّفاته، وتربيته هذه النوعية من الطلّاب شاهد صدق على هذا المدّعى.

يقول أحد تلامذته في هذا المجال: «الأمر الثالث الذي يلفت الانتباه من الناحية المعنويّة والأخلاقيّة أكثر من الأمرين السابقين، هو تحرّر الأستاذ من أيّ نوع من أنواع التظاهر بالعلم والمعرفة. ودائماً كان محرّكه في العمل الإخلاص ورضا الله -سبحانه- نحن الذين كنّا على صلةٍ به أكثر من غيرنا لا نتذكّر أنّه -ولو مرّةً واحدة- تحدّث في موضوع بحيث تشعر منه التظاهر بالعلم أو أنّه تحدّث في أمر لم يُسأل عنه. لو أنّ شخصاً بقي معه في السفر لمدّة سنة ولم تكن له معرفة مسبَّقة بمستواه العلميّ، لم يكن يتصوّر أبداً أنّ هذا الشخص مؤسّس طريقةٍ جديدةٍ في التفسير وصاحب أطروحةٍ في القواعد الفلسفيّة ومبتكرةٍ لمسائل جديدة في الفلسفة، وأستاذ معترفٌ له في السير والسلوك. كان سلوكه بحقّ طبق مضمون الحديث الذي رُوي عن جدّه رسول الله نبيّ الإسلام العظيمﷺ: «أخلص العمل فإنّ الناقد بصير».

المصدر: سيماء الصالحين، ص ١١٠

شهداء الفضيلة

الشهيد الشيخ محمد خيابانيؒ

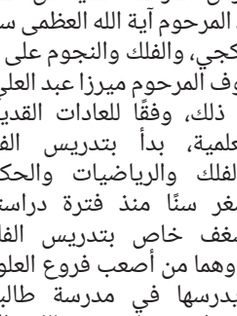

■ نشأته وحياته العلمية

محمد خيابانى، ابن حاج عبدالحميد التاجر الخامنه‌اى، وُلِدَ في عام ١٢٩٧ه في مدينة "خامنه" الواقعة في القرب من مدينة شبستر. أكمل محمد دراسته الإبتدائية والأدبية في مسقط رأسه. في شبابه، عمل مع والده في التجارة، حيث تعلم أسرار المعاملات التجارية وطرق الاقتصاد السائدة آنذاك. ومع ذلك، كان ميوله الروحية نحو تحصيل العلم أكثر من أي شيء آخر.

ترك الشيخ محمد خيابانى التجارة في سبيل طلب العلم وبدأ دراسة العلوم الدينية في تبريز، حيث انضم إلى صفوف رجال الدين والعلماء. في مدرسة "طالبية" في تبريز، درس الأدب العربي والمنطق والأصول والفقه والفلك والرياضيات والتفسير والحكمة والكلام والحديث والتاريخ والرجال والعلوم الطبيعية على يد أساتذة مختصين. درس المرحلة العليا من الفقه والأصول عند المرحوم آية الله العظمى سيد أبو الحسن أنكجي، والفلك والنجوم على يد المنجم المعروف المرحوم ميرزا عبد العلي.

علاوة على ذلك، وفقًا للعادات القديمة للمدارس العلمية، بدأ بتدريس الفقه والأصول والفلك والرياضيات والحكمة للطلاب الأصغر سنًا منذ فترة دراسته. كان لديه شغف خاص بتدريس الفلك والرياضيات، وهما من أصعب فروع العلوم، حيث كان يدرسها في مدرسة طالبية تبريز بأسلوب واضح وفصيح وباللغة الأم (التركية) للفضلاء وطلاب المراحل العليا، مما أثار عجب زملائه وحتى العلماء الكبار. إذ أن القليل من العلماء يمكنهم توضيح وتدريس هذا العلم.

■ حياته الاجتماعية

الشيخ خيابانى، بسبب إقامته في حي "خيابان" في تبريز، أصبح معروفًا بلقب "خيابانى". كان يُقيم صلاة الجماعة في مسجد كريم‌خان الواقع في هذا الحي، حيث كان يرشد المسلمين.

إن حياة الشيخ محمد خيابانى بعد انتصار المشروطة (الدستورية) في عام ١٣٢٤ه (١٢٨٥ شمسي) شهدت تحولًا كبيرًا، حيث أصبح عضوًا بارزًا في "انجمن ايالتى آذربايجان" (جمعية أذربيجان الولائية) في تبريز. كان له دور فعال في الدفاع عن المدينة ضد قوات القوزاق، حيث كان يقاتل جنبًا إلى جنب مع المجاهدين ويشجعهم على المقاومة.

رغم أنه كان شاباً عندما ثار "ستارخان"، إلاّ أنه أصبح بعد وفاة ستارخان المنظّر الفكري والسياسي لثورة تبريز. ولم يتجاوز الثلاثين من عمره عندما انتُخب ممثلاً عن أهالي تبريز في المجلس الوطني في دورته الثانية، وبرز نجمه. وفي نطقه في المجلس حول المعاهدة الروسية المذلّة هاجم الروس بشدة، مما أدى إلى نفيه. وإثر توقيع معاهدة ١٩١٩م المشينة، أعلن الشيخ ثورته في تبريز ضد الحكومة القاجارية؛ فعُطّلت الأسواق بأمره، وسيطر الثوار على مراكز الشرطة والحكومة، وسقطت المدينة في أيديهم، وذاق أهالي تبريز طعم الحرية لمدة ستة أشهر قبل أن تتمكن قوات الاستبداد من السيطرة عليها مجدداً. وقد حاول عين الدولة استرجاع المدينة عدة مرات إلا أنه مني بالهزيمة، فجهّز "محمد علي شاه القاجاري" هذه المرة قوة قوامها أربعين ألف جندي لاستعادة المدينة وقمع الثوار، إلى أن هذه المرة أيضاً مُنيت قواته بالهزيمة إثر صمود وبسالة الثوار والأهالي في الدفاع عن المدينة وبصيرة الشيخ "خيابانى".

■ استشهاده

في فجر يوم الأحد ٢١ شهريور ١٢٩٩ ه، هاجمت قوات القوزاق المسلحة مدينة تبريز بأمر من الكولونيل الروسي ومخبر السلطنة، بينما كانت قوات الشيخ خيابانى مشغولة في مواجهة الأشرار المحليين. تمكنت هذه القوات من قتل أو خلع سلاح جميع الثوار واستولت على مراكز الحرية والإدارات، بما في ذلك "عالى قابو".

عندما هاجمت القزاق منزل خيابانى، لجأ إلى منزل جاره الشيخ حسنعلى ميانجى عبر السطح. وبعد يوم، تم اكتشاف مخبأه واستشهد برصاص أحد القوزاق في سرداب المنزل. تم دفن جثته مؤقتًا في مقبرة الإمام زاده حمزه في تبريز، ثم نُقلت إلى طهران ودفنت في صحن عبد العظيم الحسنيؑ.

علماء وأعلام

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ

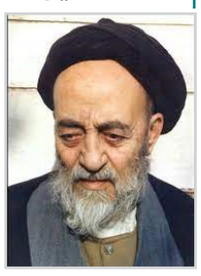

■ ولادته ونسبه

ولد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في أواخر ذي الحجة سنة ١٣٢١ ق في منطقة "شاد آباد"، إحدى توابع محافظة تبريز الإيرانية في أسرة عرفت بالعلم، حيث اشتهرت أسرته منذ القدم بالفضل والعلم والرياسة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر الماضين من العلماء المعروفين فيها. تنتهي سلسلة نسب العلامة الطباطبائي من جهة الأب إلى الإمام الحسن المجتبىﷺ عن طريق إبراهيم بن إسماعيل الديباج، فيما ينتهي نسبه من جهة الأم إلى الإمام الحسينﷺ.

■ حياته العلمية

في النجف الأشرف

بعد أن فرغ السيد من دراسة المقدمات في مدينة تبريز شدّ الرحال سنة ١٣٤٣هـ متوجها إلى النجف الأشرف التي بقى فيها عشر سنين مواصلا دراساته العلمية على يد كبار علمائها. تلمذ على يد أساتذة مشهود لهم بالمستوى العلمي الرفيع في مجال الفقه والأصول والفلسفة والرياضيات كما درس الأخلاق عن العارف الكبير الحاج الميرزا علي القاضي. لم يقتصر السيد الطباطبائي على مرحلة السطوح في الفقه والأصول بل خاض وبعمق في علوم الأدب العربي كالصرف والنحو والبلاغة بالإضافة إلى دورة كاملة من الرياضيات القديمة والحساب والجبر والهندسة المستوية والمجسمة وغيرها. وكذلك الفلسفة والكلام والعرفان والتفسير حتى وصل فيها إلى مرحلة الإجتهاد.

في تبريز

بعد أن أمضى السيد تلك الفترة الطويلة في النجف كرّ راجعا إلى مدينة تبريز بسبب المشاكل الإقتصادية والفقر التي طرأت على حياته لعدم وصول المبالغ التي كان من المقرر أن تصل إليه من أملاكه الزراعية في تبريز. حيث شرع بممارسة الزراعة في قريته "شاد آباد"، ممارسا في نفس الوقت نشاطه العلمي في مجال التحقيق والتأليف حيث صدرت لها في تلك الفترة رسائل عرفانية وفلسفية، منها "الإنسان قبل الدنيا" و"الإنسان في الدنيا" و"الإنسان بعد الدنيا"، والرسائل الأربع وغيرها من الرسائل.

في قم المقدسة

بسبب الإضطرابات التي حدثت في محافظة أذربيجان، من جهة وانتعاش حالته الإقتصادية نوعاً ما توجّه العلامة الطباطبائي إلى مدينة "قم" المقدسة سنة ١٣٦٥هـ وبدأ بتدريس التفسير والفلسفة والعلوم العقلية وهي معارف لم يكن من المتعارف تدريسها في الحوزة، إلى جانب المعارف الأخرى كالفقه والأصول كما أنه بدأ فيما بعد بتدريس الأخلاق والعرفان ورسالة السير والسلوك المنسوبة للعلامة بحر العلوم.

حلقات البحث العلمي في طهران

في الفترة التي عاش فيها العلامة الطباطبائي في قم المقدسة كان يعقد حلقات بحث علمية وفلسفية في طهران، يحضرها كبار الشخصيات العلمية كـ"هانري كربن" و" السيد حسن نصر" و"داريوش شايجان" و.... وكان قطب المناظرات والحوارات تلك هو السيد الطباطبائيﷺ نفسه وقد تمحورت الأبحاث حول القضايا الفلسفية والعرفان والأديان والأسلام. ومن الجدير بالذكر أنّ لقاءاته مع الأستاذ "هانري كربن" استمرت لمدة عشرين عاماً ما بين (١٣٧٨- ١٣٩٩ هـ) في كل خريف، يحضرها جمع من الفضلاء والعلماء، تطرح فيها المسائل الدينية والفلسفية، فكانت لها نتائجها المثمرة.

■ أساتذته

•السيد علي قاضي الطباطبائي، الشيخ محمد حسين النائيني، الشيخ محمد حسين الكمباني، السيد حسين البادكوبي، السيد أبو الحسن الأصفهاني، الميرزا علي القاضي الطباطبائي وغيرهم.

■ تلامذته

•الشيخ مرتضى المطهري، الشيخ عبد الله جوادي الآملي، الشيخ محمد فاضل لنكراني، السيد موسى شبيري الزنجاني، محمد تقي مصباح اليزدي، الشيخ جعفر السبحاني، العلامة حسن حسن زاده الآملي، الشيخ أية الله ناصر مكارم الشيرازي وغيرهم.

■ مؤلفاته

•تفسير الميزان في (٢٠) جزءاً باللغة العربية، وترجم إلى الفارسية والإنكليزية، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، حوار مع الأستاذ «هنري كربن» في مجلدين، القرآن في الإسلام، الشيعة في الإسلام وغيرها.

■ وفاته

توفي السيد الطباطبائي ـ ١٨ محرم الحرام سنة ١٤٠٢ه وتم تشييعه تشييعا مهيبا في اليوم الثاني باتجاه مرقد السيدة فاطمة المعصومةﷺ، ثم حمل إلى مثواه الأخير في مسجد "بالا سر" الواقع في مرقد السيدة المعصومةﷺ حيث ووري الثرى هناك.

مقالة / الجزء الأول

الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي

قراءة في جهود التيار النهضوي: الخميني، الطباطبائي، الصدر

الشيخ أحمد المبلّغي

الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

■ خلاصة المقالة

المقالة تناقش قضية الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي وتبرز أهميتها في قدرة الإسلام على إدارة المجتمعات المعقدة. تستعرض آراء ثلاثة مفكرين إسلاميين: الإمام الخميني، العلامة الطباطبائي، والشهيد الصدر. يقسم العلامة الطباطبائي الأحكام إلى ثابتة ومتغيرة. يركز الإمام الخميني على التحول الموضوعي والولاية المطلقة للفقيه. يطرح الشهيد الصدر نظرية منطقة الفراغ التشريعي، مما يتيح لولي الأمر اتخاذ القرارات وفقًا لاحتياجات الزمن.

أهمية تحليل إشكاليّة الثابت والمتغيّر

يحظى بحث الثابت والمتغيّر في الإسلام بأهمية كبيرة؛ ففي ظلّه نستطيع ان نجلّي قدرة الإسلام على إدارة المجتمعات المعقّدة، ونثبت بطلان الشبهة التي ترى عدم قدرة الأحكام الإسلامية على حلّ مشكلات الإنسانية، أو محدوديّة هذه القدرة مع تزايد احتياجات البشرية وكثرة أزماتها، فهذا الفكر الخاطئ يرى عدم قدرة الأحكام الإسلامية الثابتة على تلبية تلك الاحتياجات المتفاقمة، ورفع الصعوبات المتزايدة وإدارة المجتمعات المعقّدة.

■ البُعد العلمي في مسألة الثابت والمتغيّر

ليس بحث الثابت والمتغير في الإسلام بحثاً بسيطاً، يمكن إنجازه بتقديم أفكار آنية وموضوعات برّاقة؛ فالبحث في هذا المجال يحتاج ـ من جهة ـ إلى خبرة طويلة بالمجتمعات الإنسانية المعقّدة، كما يتطلّب ـ من جهة أخرى ـ فهم الإسلام وأهدافه وعمق تعاليمه، إضافةً إلى اطّلاع كافٍ على أسس الاجتهاد ومناهجه، وهذه المعارف شرطٌ رئيس في حلّ المعضلة، وحلّ هذه المسألة يحتاج إلى تنظير، أيّ ينبغي على من اكتسب المعرفة حتى أصبحت طوع يده أن يقدّم ـ بشكل جاد وعلى مستوى عال من الدقة مع مراعاة الجوانب كافّة ـ نظريةً تتوافر على خصلتين، هما:

أ ـ تصوير الإسلام وقدراته تصويراً صحيحاً وواضحاً.

ب ـ القدرة على وضع أساس وإطار أفضل للتوجّه الإسلامي والسياسة الإسلامية العامّة.

إن ما قلناه سابقاً دليلٌ على كمال أي نظرية في هذا الخصوص، لكنّ هناك ملاكين إذا تجرّدت النظرية عن أحدهما غدت باطلةً من الأساس، وهما:

أولاً: عدم الخلط بين مساحات الثابت والمتغير، أو الخطأ في تحديد مصاديق كلّ واحدٍ منهما.

ثانياً: أن لا تُبتلى النظرية بتقليد الآراء واجترارها؛ فأغلب من يَرِد هذا البحث لا يملك اطلاعاً على علم أصول الفقه والاجتهاد مما يجعل نظريّته فاقدةً لكلا الملاكين، فلا يضعنّ من ليس له الأهلية قدمه في هذا الوادي السحيق، كما ينبغي على من ينظّر من العلماء أن يراعي الدقة في عمله.

ولكلّ من الإمام الخميني (١٩٨٩م) والعلامة الطباطبائي (١٩٨٣م) والشهيد الصدر (١٩٨٠م) نظرية في هذا الحقل، وهدف هذه الدراسة تقديم خلاصة عن نظريّة كلّ واحدٍ من الثلاثة، مقارنةً بينها، ومن خلال ذلك تتضح كلّ نظرية أكثر، ونقف على أبعاد جديدة للثابت والمتغير في الإسلام، فينفتح لنا طريقٌ لردّ الشبهات الباطلة.

■ إشكاليّات في مسألة الثابت والمتغيّر

أما أهم تلك الإشكاليّات فهو:

أ ـ الأحكام الإسلامية تحول دون التقدّم والتنمية.

ب ـ افتقار الإسلام إلى الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ج ـ عدم تدخّل الإسلام في الأمور الدنيوية بشكلٍ جادّ؛ لأنّ رسالته الأساسية الاهتمام بالآخرة وما يتعلّق بها.

■ نظرية العلامة الطباطبائي، الثبات الإنساني والتحوّل البشري

يقول العلامة: قسّم الإسلام أحكامه إلى قسمين متمايزين ومنفصلين بعضهما

عن بعض، الأحكام الثابتة والأحكام المتغيّرة((الطباطبائي، محمد حسين، ملامح من الإسلام (فرازهايي از إسلام): ٧٣، جمع السيد مهدي آيت الهي، طهران، جهان آرا.)).

أمّا الأحكام الثابتة، فهي الأحكام والقوانين التي وضعت على وفق مقتضى حاجات الطبيعة الواحدة والثابتة للإنسان((المصدر نفسه: ٦٩.))؛ فقد سمّى الإسلام تلك الأحكام التي أقامها على أساس طبيعة الإنسان وخصوصيّاته بالدين والشريعة: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم»((المصدر نفسه: ٦٩.)).

وأمّا الأحكام المتغيّرة، فهي الأحكام المؤقّتة أو تلك التي لُحظ فيها شيء ما، وتختلف وفق أنماط الحياة المختلفة، ويتماشى هذا القسم مع التقدّم التدريجي للمدنية والحضارة وتغيّر المظاهر الاجتماعية وظهور الأساليب الحديثة وانضمار الأساليب القديمة، وتختلف بحسب مصالح الزمان والمكان المختلفة.

وهذه الأحكام باعتبارها من آثار الولاية العامة، منوطةٌ بنبيّ الإسلام محمد- والقائمين مقامه والمنصوبين من قبله، وتشخّص وتنفّذ في دائرة الثوابت الدينية((المصدر نفسه: ٦٨.))، وطبقاً لمصالح الزمان والمكان، قال تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»(النساء: ٥٩).

وهناك قسم من هذه الأحكام يعبّر عنه بصلاحيّات الوالي، وقد وضع هذا الأصل في الإسلام ليلبّي حاجات الناس المتغيّرة في كلّ عصر وزمان، وفي كلّ منطقة ومكان، من دون أن تتعرّض أحكام الإسلام الثابتة إلى النسخ والبطلان، كما أنها تغطّي حاجات المجتمعات الإنسانية، وبناءً على الولاية العامة لوليّ أمر المسلمين في دائرة حكومته، وكونه موجّهاً لأفكار المجتمع الإسلامي ومورد قبول الجميع، يمكنه التصرّف في محيطه العام، كما يتصرّف أيّ شخص داخل محيطه الخاص((المصدر نفسه: ٧٦ ـ ٧٧.)).

نظرية الإمام الخميني، التحوّل الموضوعي وإطلاق ولاية الفقيه

يؤكّد الإمام الخميني على أصلين هما:

أ ـ تبدّل موضوع الحكم إلى موضوع آخر في ظلّ العلاقات الحاكمة، يقول بهذا الخصوص: بلحاظ العلاقات الحاكمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد في نظامٍ ما لعلّ حكماً جديداً يطرأ على مسألة ما، كان حكمها السابق يختلف، بمعنى أنّ الإحاطة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جعلت ذلك الموضوع نفسه بالظاهر موضوعاً جديداً فيستتبعه حكم جديد((الخميني، روح الله، صحيفة النور ٢١: ٩٨، قم، مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني.)).

تكمن أهمية نظرية الإمام الخميني في أنّها ترى ـ من جهة ـ أنّ العصر الحاضر عصر سيادة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعقّدة، ومن جهة أخرى تأثير ذلك في تغيير موضوعات الأحكام الشرعية بشكل بسيط وواضح

أهمّ بُعدٍ جديد في نظرية الإمام الخميني أنّ تبدّل الموضوع في ضوئها يمكن أن يتمّ بشكل خفي ودون أيّ ضجيج، أي قد نرى ظاهر الموضوع ساكناً لكنّ هناك تحولاً يجري خلف هذا السكون الظاهري، فقبل هذه النظرية كان الفقهاء يقبلون ذلك حينما يتحوّل الموضوع إلى موضوع آخر، وتبرز علامات تدلّ عليه، كما في استحالة الخمر إلى خلّ أو الميّت إلى ملح، أمّا الإمام الخميني، فإن معرفته بالوقائع المتأثرة بالعلاقات الاقتصادية والسياسية من جهة، وتعريفه موضوع الحكم الشرعي ومناطه وفلسفته من جهة أخرى، لم يحصرا تبدّل الموضوع بظهور ما يدلّ عليه، مثيراً ـ إلى جانب ذلك ـ فكرة التبدّل الداخلي.

وفي الحقيقة، إنّ ما أحدثه الإمام الخمينيّ من تحوّل في النظرة الأصولية إلى تغيّر الموضوع، حينما طرح فكرة التحول الداخلي له، يضارع ما أحدثه الملا صدرا الشيرازي (١٠٥٠هـ) في النظرة الفلسفية لموضوع الحركة؛ حينما طرح الحركة الجوهرية، أي أنّ تعيين مصداق الحركة قبل الملا صدرا كان منوطاً بالتحوّلات الظاهرية في الكمّ والكيف، وكذلك كان تعيين مصاديق تبدّل الموضوع قبل الخميني ناظراً إلى التغيّرات الظاهرية.

وعندما نشبّه نظرية الإمام الخميني بنظرية الحركة الجوهرية، فلا ندّعي أنّ جميع الموضوعات عنده تتبدّل بشكلٍ قهريّ في ظلّ العلاقات الاقتصادية والسياسية، فهذه دعوى لا أساس لها؛ لأن بعض الموضوعات، مثل الموضوعات العبادية وكثير من الموضوعات الأخلاقية، ثابتةٌ على مدى الزمان، فالمقصود من هذا التشبيه أنّ التحوّلات الظاهرية كانت هي المعيار قبل نظرية الإمام الخميني.

ولسنا بصدد إثبات صحّة نظرية السيد الخميني؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى بحثٍ مستقلّ، بل نريد هنا إجراء مقارنة بين هذه النظرية ونظرية العلامة الطباطبائي، وكذا نظرية الشهيد محمد باقر الصدر.

ب ـ الولاية المطلقة للفقيه، يقول الإمام الخميني: الحكومة المتفرّعة عن ولاية رسول الله – المطلقة، هي أحد الأحكام الأوّلية للإسلام، ومقدّمة على جميع الأحكام الفرعية.. فالحكومة قادرة على منع الحجّ، الذي هو من الفرائض الإلهية المهمّة، مؤقتاً، إذا كان في ذلك صلاح البلد الإسلامي((المصدر نفسه ٢: ١٧٠.)).

نظرية الشهيد الصدر، منطقة الفراغ التشريعي

وخلاصة نظرية الشهيد الصدر:

أ ـ ترك الإسلام، في نظامه التشريعي، منطقةً خالية من أيّ حكمٍ إلزاميّ من وجوب أو حرمة ((الصدر، محمد باقر، اقتصادنا: ٧٢١، بيروت، دار التعارف، ط ١٩٨٠م.))، تسمّى منطقة الفراغ.

ب ـ لا تدلّ منطقة الفراغ على نقصٍ في الصورة التشريعية، أو إهمال من الشريعة لبعض الوقائع والأحداث((المصدر نفسه: ٧٢٥.))، بل تعبّر عن استيعاب الصورة، وقدرة الشريعة على مواكبة العصور المختلفة((المصدر نفسه: ٧٢٢.)).

ج ـ وضع الإسلام منطقة الفراغ الخالية من الحكم تحت تصرّف وليّ الأمر ليملأها على أساس متطلّبات الزمان ومصالحه، وفي ضوء أهداف الشريعة ومقاصدها((المصدر نفسه: ٧٢٦.)).

تتابع

المصدر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر

تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

المؤسسة الثَّقافِيَّةُ لِلمَهدِيِّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

تأسست "بنياد فرهنگی حضرت مهدی موعودﷺ"[المؤسسةُ الثَّقَافِيَّةُ لِلمَهدِيِّ المنتَظَرﷺ في مدينة قم] كمنظمة ثقافية غير ربحية وغير حكومية ذات شخصية قانونية واستقلال مالي وإداري، تابعة لجمهورية إيران الإسلامية، بهدف تعزيز وتعريف ثقافة المهدوية وتعريف شرائح المجتمع - خاصة الشباب - بشخصية الإمام المهديﷺ وتعزيز أسس الإمامة والولاية. وقد تم تأسيسها في عام ١٤٢٠ الهجري، بعد الحصول على موافقة مقام القيادة العليا [لجمهورية إيران الإسلامية] من قبل سماحة الشيخ محسن قرائتي، وهي تعمل على المحاور التالية:

■ ١. إعادة تعريف ثقافة الانتظار

تسعى المؤسسة إلى تعريف الإمام المهدي الموعودﷺ ونوابه الخاص والعام من خلال:

الترويج والبحث العلمي، تأليف ونشر الكتب والدوريات، إنتاج الأقراص المدمجة والبرمجيات الإلكترونية، خلق أعمال ثقافية وفنية وأدبية، الاستفادة من المجالات الإعلامية الأخرى، وإقامة علاقات مع مؤسسات البحث الداخلي والخارجي لتبادل المعلومات والخدمات، وعقد مؤتمرات بحثية وعلمية وأدبية حول شخصية الإمام الموعود.

■ ٢. البحث حول نظرية "الحكومة العالمية الواحدة"

تركز المؤسسة على: دراسة الكتاب والسنة وعترة رسول اللهﷺ، التعرف على عوائق تقريب المسلمين، إعداد ونشر آراء العلماء والمفسرين من الشيعة والسنة حول مكانة الإمام المهديﷺ في الكتاب والسنة.

■ ٣. البحث حول تأثير فكرة المهدوية

تعمل المؤسسة على: دراسة تأثير فكرة المهدوية في الأديان والمذاهب الأخرى، استكشاف الحركات الفكرية والاجتماعية والسياسية المرتبطة بهذه العقيدة، إقامة علاقات مع الحوزات العلمية والجامعات والمراكز التعليمية والثقافية لإقامة دروس ومحاضرات حول الإمام المهديﷺ، وتوجيه رسائل الدراسات الأكاديمية نحو موضوع المهدوية.

■ ٤. تنسيق الجهود لتوحيد وتنظيم الأفراد والهيئات النشطة

في مجال المهدوية وكذلك الرد على الأسئلة والشبهات المتعلقة بأبعاد وجود الإمام المهديﷺ.

الآفاق
السنة الثانية
الـ ٨٨
الإثنين ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٥ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري • مسئول الطبع: مصطفى اويسى
طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

مقالة

مناقب الزهراء سلام الله عليها وتنكّر الاتجاه الأموي

فوزي آل سيف

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

ينكر البعض مقامات الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمعصومين، ولكن بدرجات متفاوتة فقد يقبل منزلة للنبي ولكنه لا يقبلها في الوصي، وهكذا.

والنبي أو الوصي الذي يستكثر عليه هذه المرتبة أو تلك لا يتضرر بجهل الآخرين منزلته، وإنما المتضرر هو جاهل تلك المنزلة والغائب عن إدراكها، فإنه بمقدار ما (يعرف) الشخص النبي أو الوصي فإنه بنفس المقدار سيزداد اعتقاده به وإيمانه، وربما اقتداؤه وتأسيه به. تمامًا مثلما أنّ الشخص كلما ازداد معرفة بالله تعالى، ازداد خوفه منه ورجاؤه إيّاه، وتعظيمه في نفسه وطاعته. فقد ورد في الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه» وفي حديث آخر يبين الجهة السلبية لعدم المعرفة، فقد قال قوم للإمام الصادق عليه السلام: ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنّكم تدعون من لا تعرفونه» وبالطبع ليس المقصود هنا من لا تعرفونه أصلًا، وإنما من لا تعرفونه كما ينبغي.

ولهذا السبب كانت درجات العباد تتفاوت بأمور؛ منها بدرجة معرفتهم لله تعالى ثم للنبي وبعده للوصي! وإنكار المراتب العالية والمقامات السامية للذوات المقدسة تارة يتخذ شعار العقلنة، وأخرى التجديد في الثقافة، وتارة ثالثة الانعتاق من الموروث الديني.. وهكذا!

والأمر أوضح حين يتعلق بمراتب ومقامات الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام. فإننا رأينا التنكر من قبل أتباع النهج الأموي لهذه المقامات والفضائل بشكل واضح... حتى أن رواياتها ترمى بالغلو تارة وبالكذب والوضع أخرى! ويهمنا هنا أن نشير إلى بعض أسباب ذلك التنكر والرفض:

■ فمن الأسباب اختلاف مصادر المرجعية الدينية في المدرسة:

وذلك أن كل فئة لها مدرسة خاصة ومصادر فكرية ومرجعية دينية، تعتمدها فتثبت ما تثبته وترفض ما لا تثبته، فمثلًا عندما نتحدث عن عظمة النبي صلى الله عليه وآله وعصمته وأنه أول الخلائق منزلة وعظمة، وأن اصطفاءه واختياره للنبوة كان وآدم منجدل في طينته... فإن كل ذلك مما لا يتعقله المسيحي واليهودي، فإنهما حتى لو كانا - فرضًا -يعتقدان بأنه من رسل الله، إلا أنهما لا يعتقدان فيه هذه المراتب والدرجات!

وبنفس الصورة يكون غير الشيعي الذي مصادره لا تحتوي على منازل ومقامات المعصومين الأربعة عشر، إلا بالنحو اليسير، بل هو يتعامل معهم باعتبارهم أناسًا عاديين! وفي أحسن الفروض على أنهم علماء متقون ورواة صادقون! ولكنهم في باقي القضايا كسائر الناس لا يمتازون عنهم بشيء!

وقد التفت لهذه الجهة شيعة أهل البيت عليهم السلام، فحاولوا إثبات المقامات والفضائل للمعصومين وخصوصًا السيدة الزهراء عليها السلام من كتب خصومهم، ومن مصادر مدرسة الخلفاء.

وقد ظن بعض من لا دراية له، أن هذا دليل على أن الشيعة لا يعتقدون بكتب مدرستهم الخاصة، ولا يثقون بها وإنما يثقون بمصداقية كتب مدرسة الخلفاء ولذلك يستدلون بها! وهذا توهمٌ وقلة معرفة فإن من أصول النقاش المذهبي والجدل وقواعد الإلزام هو أن تستدل على الخصم بما يقبله هو، لا بما لا يقبله! ومن المعلوم أن أتباع مدرسة الخلفاء لا يقبلون أحاديث الأئمة كحجة شرعية. فكان المناسب أن يُحتج عليهم بما هو ثابت عندهم.

■ ومن الأسباب محدودية البشر في مقاييسهم:

فإنه لما كانت هذه المناقب والدرجات تنتمي إلى عالم الغيب، وكان الإنسان في هذه الحياة محدودًا بحدود الحواس الخمس وأقصى آفاقه لا تصل إلا إلى حاجاته عادة؛ حيث تم تزويده ليعيش في هذه الدنيا ضمن هذه الحواس وبمقدارها! فكانت آفاق الغيب وعوالمه بعيدة عن هذه المقاييس وأكبر منها.

بل إنه حتى في حدود دائرة الشهود والواقع الخارجي لم يعطَ من الإمكانات إلا بمقدار ما يحتاج إليه، فبصره لا يستطيع أن يكتشف ما كان على بعد عشرات الكيلومترات، وأذنه لا تستطيع أن تسمع دبيب النمل أو خطاب الحشرات فيما بينها ولا يسمع صوت الأرض وهي تتحرك أو الأجرام وهي تدور! هذا في الواقع الخارجي المشاهد والمعاين! فكيف يستطيع أن يتعامل مع قضايا الغيب والتي لا يمكن تناولها بهذه الحواس أصلا؟

نعم وضع الله سبحانه طريقًا للإيمان بذلك هو طريق السمع من الأنبياء والأوصياء الصادقين، وهو جزء من الإيمان به سبحانه وبهم. فإذا قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: إن فاطمة سيدة نساء العالمين، أو أن نورها خلق قبل خلق السماوات والأرض أو أن مهرها هو خمس الأرض! فسواء كان هذا متوافقًا مع استيعاب البشر أو لم يكن، ينبغي تصديقه ما دام قد ورد بطرق معتبرة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله، وعن أهل البيت فيما يعتقده الشيعة حيث لا يفرقون بين قولهم وقوله.

■ ومنها اختلاط الصحيح من المناقب بالسقيم:

فقد عمل الأعداء لتشويه صورة الدين ورموزه على وضع أخبار غير صحيحة فيما يرتبط بالمناقب، وسربوها إلى المصادر الحديثية في الطائفتين، وهذا أدى إلى اختلاطها بالصحيح من الروايات، على نحو يعسر فيه الفرز بينهما من قبل عامة الناس؛ فأثّر هذا على المناقب الصحيحة والروايات السليمة بحيث أصبح كل حديث يأتي فيه احتمال أن يكون موضوعًا أو كذبًا.

وهكذا فعل الغلاة في تاريخ المسلمين، فقد كان تيار الغلو موجودًا بل لا يزال كذلك. وقد قام هذا التيار بدور سيء في وضع الروايات الباطلة أو تفسير الروايات الصحيحة بنحو غير صحيح.

وقد أثر الفعل القبيح لهذين الفريقين في رد روايات المناقب والمراتب العالية لرموز الدين، وشخصياته العظيمة.

ومن الأسباب القياس على الذات:

قسم من الناس يعرفون الآخرين بمقاساتهم هم، ويظنون أن ما عند الآخرين لا يزيد عليهم، وأن ما يخضع له هؤلاء يخضع له الآخرون، ولأنه لا يرى فاصلة كبيرة بينه وبين الذوات المقدسة، لذلك لا يستطيع أن يتعقل مراتب تلك الذوات! فكيف يستطيع أن يتصور أن فاطمة قد خلقت من طعام الجنة؟ وأنها حوراء إنسية؟ وأنها معصومة من كل زلل؟ وأنها يشرق نورها كما تشرق الكواكب الدرية لأهل الأرض؟

وهي في الواقع نفس عقلية {مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ}. فإذا كان الشخص يعرف نفسه، ويعرف خضوعه لهواه، ومعصيته ربه، وتقصيره وقصوره.. فإنه غالبًا لا يتوقع تصديقه بأن هذا المعصوم أو ذاك قد وهب الله من القدرة والولاية ما يحير العقول!

المصدر: شبكة الفجر الثقافية

شعر وقصيدة

صبّت عليّ مصائب

قُل للمغيّب تحتَ أَطباقِ الثّرى
إن كنتَ تسمعُ صَرخَتي وَنِدائِيا
صبّت عَليّ مَصائبٌ لو أنّها
صُبّت عَلى الأيّام صِرنَ لياليا
قَد كنتُ ذاتَ حِمى بظلٍّ محمّدٍ
لا أَخشَ مِن ضيمٍ وكان جماليا
فَاليومَ أَخشعُ لِلذليلِ وأَتّقي
ضَيمي وَأَدفع ظالِمي بِرِدائيا
فَإذا بَكَت قمريّة في ليلها
شَجناً عَلى غصنٍ بكيتُ صباحِيا
فَلأجعلنّ الحزنَ بَعدكَ مُؤنسي
وَلأجعلنّ الدمعَ فيك وِشاحيا
ماذا عَلى مَن شمّ تُربة أحمدٍ
أَن لا يشمّ مَدى الزمان غَواليا

نصيحة نفسية

ضبط النفس

إحدى طرق ضبط النفس هي أن تتصرف عكس ما تمليه عليك مشاعرك، بدلاً من الانسياق وراء مزاجك، اعتمد على عادات ثابتة في حياتك، مثلاً، النوم المبكر رغم رغبتك في السهر، أو ممارسة الرياضة رغم أنك لا تشعر بالرغبة، لا تسمح لمزاجك أن يدير حياتك. اسأل نفسك: ما هو نوع الشخص الذي أريد أن أكونه؟ أحيانًا عليك القيام بأمور لا تحبها، فقط لأنك تعلم أنها تصب في مصلحتك العليا.

مقالة

كيف بدأ علم النحو؟

أحمد الفخراني؛ كاتب وروائي مصري

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

في أواخر القرن الثاني الهجري، وفي بغداد، عاصمة الخلافة الإسلامية خلال حكم هارون الرشيد، شهدت الساحة العلمية الإسلامية حدثاً استثنائياً تمثّل في مناظرة شهيرة بين اثنين من أعظم علماء النحو في تاريخ الإسلام هما: سيبويه، إمام مدرسة البصرة النحوية، والكسائي، إمام مدرسة الكوفة النحوية.

هذه المناظرة، التي عُرفت فيما بعد ب "المسألة الزنبورية"، لم تكن مجرد نقاش علمي بسيط حول قواعد النحو، بل كانت تعبيراً عن صراع أوسع بين مدرستين نحويتين لهما رؤى مختلفة حول كيفية توثيق وفهم اللغة العربية.

دور الإمام علي في نشأة علم النحو

لفهم أهمية هذه المناظرة، يجب العودة إلى القرن الأول الهجري، حيث بدأت معالم علم النحو تتشكل استجابة للتحديات الجديدة التي واجهتها اللغة العربية بعد انتشار الإسلام.

إذ مع توسع الدولة الإسلامية، ودخول العديد من الشعوب غير العربية في الإسلام، ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد تحمي اللغة من التحريف والتشويه.

ويُنسب الفضل في وضع اللبنات الأولى لهذا العلم إلى أبو الأسود الدؤلي، الذي أخذ إرشادات مباشرة من الإمام علي بن أبي طالب لتوثيق بعض قواعد اللغة العربية، عندما أمسك الإمام صحيفة كانت أمامه وكتب فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. الكلام ينقسم إلى اسم وفعل وحرف. فالاسم ما دلّ على المسمى، والفعل ما دلّ على حركة المسمى، والحرف ما دلّ على ما ليس اسماً ولا فعلاً"، ثم قال لأبي الأسود: "انحُ نحو هذا"، أي أكمل على هذا النهج. ومن هنا جاء مصطلح "النحو".

وكان أبو الأسود يدرس كلام الناس ويلاحظ الأخطاء الشائعة، ثم يقارنها بالقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي. بعد ذلك، كان يعود إلى الإمام علي ليعرض عليه القواعد التي توصل إليها، مثل العطف والنعت، والتعجب والاستفهام، وكذلك الفاعل والمفعول، والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.

ومن بين ما عرضه عليه، حسب بعض الروايات، كان حروف "إنَّ" وأخواتها (إنَّ، وأنَّ، وليت، ولعلَّ، وكأنَّ). فقال له الإمام علي: "لماذا لم تذكر"لكن"؟ فرد أبو الأسود: "لم أحسبها منها". فقال له الإمام علي: "أضفها".

وهكذا يمكننا القول إن الإمام علي وضع الأسس الأولى للطريق الذي سيسير عليه علم النحو في ما بعد.

أما أبو الأسود، فقد كان جهده منصبّاً على وضع البذور الأولى لهذا العلم، بناءً على ما استطاع أن يصل إليه من خلال عقله، وما أقرّه عليه الإمام علي.

وكان أبو الأسود أول من أدخل نظام التشكيل لضمان القراءة الصحيحة للنصوص الدينية والشعرية، وهو ما مثّل البداية الرسمية لعلم النحو.

■ مدارس النحو وتطور علم اللغة

لاحقاً، انتقلت دراسة النحو إلى مدينتين رئيسيتين هما البصرة والكوفة. وفي البصرة، حيث كان هناك تركيز كبير على الحفاظ على نقاء اللغة العربية، ظهر علماء بارزون مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، الذين وضعا أسساً قوية لعلم النحو. كان الفراهيدي رائداً في مجالات عدة، منها علم العروض، وكان له تأثير كبير على سيبويه. بفضل هذا التأثير، أصبح سيبويه من أبرز علماء اللغة العربية في عصره، وتمكن من تأليف كتابه الشهير "الكتاب"، الذي لا يزال يُعد من أهم المراجع في علم النحو حتى يومنا هذا.

واللافت في الأمر أن الذين أقبلوا على دراسة النحو وتطويره بشكل أكبر كانوا من "الموالي"، أي المسلمين من غير العرب، مثل الفرس والأفارقة والأتراك. إذ كانوا في حاجة ماسة لتعلم اللغة العربية للتخلص من الرطانة الأعجمية ولتفهم الدين الإسلامي بشكل أعمق.

وسيبويه لم يكن عربي الأصل، بل فارسياً، ومع ذلك استطاع من خلال دراسته المتعمقة للغة العربية أن يصل إلى مكانة علمية مرموقة. قضى سيبويه جزءاً كبيراً من حياته في دراسة اللغة في البصرة، حيث سافر إلى البادية للتأكد من صحة القواعد التي كان يضعها، معتمداً في ذلك على لهجات القبائل العربية الأصلية في الحجاز ونجد.

وكان كتابه "الكتاب" شاملاً جمع فيه كل ما يتعلق بقواعد اللغة العربية، وكان هذا الإنجاز علامة فارقة في تطور علم النحو.

من ناحية أخرى، كانت الكوفة أيضاً مركزاً علمياً مهماً، ولكنها اتبعت نهجاً مختلفاً في دراسة النحو. وكان نحاة الكوفة أكثر تسامحاً في قبول اللهجات المختلفة للعرب، وكانوا يميلون إلى التخفيف من بعض القواعد الصارمة التي اتبعتها مدرسة البصرة.

هذا التباين في النهج أدى إلى ظهور منافسة حادة بين المدرستين، وخاصة بين سيبويه والكسائي.

■ مناظرة سيبويه والكسائي وصراع المدارس النحوية

الكسائي، إمام نحاة الكوفة، كان شخصية مؤثرة في مجال النحو، لكنه كان أكثر براعة في الخطابة والمناظرة من سيبويه. وتمتع الكسائي بنفوذ كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكذلك تأييد من نخبة المجتمع البغدادي.

في ظل هذا التنافس، دعا الوزير خالد بن يحيى البرمكي سيبويه والكسائي إلى بغداد لعقد مناظرة علنية لحسم الخلاف بين المدرستين النحويتين.

"المسألة الزنبورية" التي دارت حولها المناظرة، كانت تتعلق باستخدام صيغة معينة في اللغة العربية. ادعى سيبويه أن القاعدة تتطلب أن تُرفع الجملة في سياق معين، في حين أصر الكسائي على أن العرب قد يستخدمون النصب في نفس السياق. وبما أن اللغة العربية كانت تُفهم وتُمارس بصورة شفهية إلى حد كبير في ذلك الوقت، تقرر اللجوء إلى الأعراب من قبيلة الحطمة، الذين كانوا يُعتبرون من أفصح العرب، لحسم الجدل.

عندما شهد الأعراب لصالح الكسائي، اعتبر الحكم أنه انتصار لمدرسة الكوفة. إلا أن هذه النتيجة لم تكن خالية من الشكوك، حيث اعتقد العديد من العلماء لاحقًا أن سيبويه كان على حق من الناحية النظرية، وأن الحكم لصالح الكسائي كان نتيجة للتأثير السياسي الذي مارسه في بلاط الخليفة.

علاوة على ذلك، كان سيبويه يعاني من بعض الصعوبات في النطق بسبب أصوله الفارسية، الذي قد يكون أثّر سلباً على أدائه خلال المناظرة الشفوية.

بعد خسارته المناظرة، غادر سيبويه بغداد وعاد إلى مسقط رأسه في فارس حيث توفي بعد فترة وجيزة في سن مبكرة. ورغم هزيمته، إلا أن إرثه العلمي استمر لقرون طويلة. فقد ظل كتابه "الكتاب" المرجع الأساسي لعلماء النحو في العالم الإسلامي، وكان حجر الزاوية في تطوير هذا العلم. مع مرور الزمن، أصبح سيبويه رمزاً للتفاني في البحث العلمي، وأثبت أن النحو العربي ليس مجرد قواعد جافة، بل علم متكامل يهدف إلى الحفاظ على جمال ودقة اللغة العربية.

أما الكسائي، فقد استمر في صعوده ليصبح المعلم الخاص لأولاد الخليفة هارون الرشيد، وكان له تأثير كبير على تعليم الأجيال القادمة من الحكام والعلماء. ومع ذلك، لم يكن لمدرسة الكوفة نفس الأثر الطويل الأمد الذي حققته مدرسة البصرة، وخاصة بفضل عمل سيبويه والفراهيدي.

في المحصلة، لا يمكن النظر إلى مناظرة سيبويه والكسائي باعتبارها مجرد خلاف نحوي تقني، إذ كانت أيضاً تعبيراً عن صراع ثقافي وعلمي أوسع في العالم الإسلامي.

المصدر: الميادين

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444
@gmail.com